

ندوة علمية بعنوان: "أحداث 8 ماي 1945 بين التاريخية و الأدبية"

يوم 09 ماي 2024

كلية الآداب والحضارة الإسلامية
جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

عنوان المداخلة:

التاريخ والذكرى في شعر الربيع بوشامة

مقاربة في سيميائية الأهواء في قصيدة (في ذكرى فواجع 8 ماي)

د. لبنى خشة

الملخص:

تحتل الثورة الجزائرية مكانة مرموقة في الشعر العربي والجزائري؛ لذلك هي موضوع تعددي يُجمل التاريخ والذكرى، وأحداث 8 ماي من المجازر التي خلفت والكثير من الانفعالات في قلوب الشعب الجزائري ألما، وبين حروف الشعراء ابداعيا... وتمحور هذه الدراسة حول توظيف الانفعال في الكتابة الشعرية عند الشاعر الجزائري الشهيد الربيع بوشامة، الذي شارك في أحداث 8ماي، وسُجن بعدها، وقد واخترنا لهذه الدراسة قصيدة (في ذكرى فواجع 8 ماي) من الديوان الذي جمعه المؤرخ جمال قنان. ووفق مقاربة سيميائية تستقصي الأهواء، تبحث هذه الدراسة في انفعالات الشاعر وكيف وظفها في اسقاطاته للتاريخ واسترجاعه للذكرى من أجل خلق المعنى التركيبي للقصيدة، وكيف استطاع توظيف انفعالاته في الصياغة والبناء، ليؤول التاريخ ويكتب الذكرى. الكلمات المفتاحية: التاريخ، الذكرى، الشعر، الربيع بوشامة، سيميائيات الأهواء.

Abstract

The Algerian revolution occupies a prominent place in Arab and Algerian poetry; It is therefore a pluralistic topic that outlines history and remembrance, the events of 8 May of massacres that left the hearts of the Algerian people in pain, and the letters of the poets in creativity...

This study focuses on the use of emotion in poetry writing by the Algerian poet martyr Rabi Bouchama, who participated in the events of 8 May, and was subsequently imprisoned, and we chose a poem (in memory of 8 May's revelations) from the Diwan compiled by the historian Jamal Kanan.

According to a semiotic approach that explores the whims, this study examines the poet's emotions and how he employed them in his projections of history and remembrance in order to create the synthetic meaning of the poem, and how he was able to use his emotions in drafting and building, to make history and to write the memory.

Keywords: History, Remembrance, Poetry, Rabi Bouchama, Semiotics of the Whims.

المقدمة:

لم تنطفئ جذوة التاريخ الجزائري لا في قلوب أبنائها ولا بين أوراق الشعر، ففي الوقت الذي كان الشعر ولا يزال ترجمانا للمشاعر والأحاسيس وهوى النفس ومخيالها، هو في الجانب المقابل سجل لكتابة التاريخ عبر امتداد زمنه وتخليدا لأحداثه... ومن بين الأحداث التي تركت جرحا غائرا في المسار النضالي الجزائري، أحداث الثامن من شهر ماي 1945، هذا التاريخ الذي تحول من زمنية اللحظة -على مأساتها- إلى معادلٍ في للكفاح والتضحية، ورمز للوجع الخالد في ذات الوقت.

وقد خط الشعراء حروفهم تحاور التاريخ وتؤول صفحاته أبداعا مميّزا، والثورة الجزائرية بتفاصيلها وطول مسارها كانت محركا ومادة أثيرة للكثير من الأقلام سواء كانوا شعراء من الوطن العربي أو من أبناء الوطن، ومن الشعراء الذين كتبوا عن أحداث 8 ماي 1945، البشير الابراهيمي، أحمد سحنون، محمد العيد آل خليفة، عبد السلام الحبيب الذي كان يقيم في سوريا، عبد القادر بن محمد بن القاضي، محمد الأخضر السائحي، والشاعر الشهيد الربيع بوشامة*، وهو من الشعراء الجزائريين المغمورين، له ديوان وحيد ضم مئة وأربع قصائد

* الربيع بوشامة: ولد الربيع بن الصديق بن الصغير بوشامة في 29 ديسمبر 1916 م، في قنرات في بني يعلى ولاية سطيف، ومنذ العام السابع من عمره دخل المدرسة القرآنية (الكتاب)، فحفظ القرآن الكريم، كما التحق بالمدرسة الفرنسية فأكمل دراسته إلى السنة الأخيرة من المرحلة الابتدائية، ثم تفرغ لدراسة العلوم العربية والإسلامية فدرسها على شيوخ بني يعلى، منهم الشيخ سعيد صالح، أحد أعضاء جمعية العلماء البارزين، في هذه الأثناء درس النحو والقراءات والتجويد والفقهاء والتوحيد، تقلد عدة مناصب في التعليم، ناضل بالقلم حتى أثار شكوك الإدارة الاستعمارية، تم سجنه بعد أحداث 8 ماي 1945، استشهد في 14 مايو 1959، عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، ترجمة،

(104) جمعها الدكتور المؤرخ جمال قنان، في ديوان من 279 صفحة، وقدم له في حديث عن المسار النضالي والإبداعي للشهيد في 40 صفحة، وقد تباينت مواضيع شعره بين شعر الاجتماعي، والشعر الرومانسي، الشعر الإصلاحي، وشعر الطبيعة، والشعر الوطني والقومي، وشعر الثورة والبطولة والشهادة، وبعض الأناشيد، كتب الشاعر قصيدتين وسم الأولى بعنوان وهو صدر البيت ومطلعها (سر على الدمع والدماء الغوالي) وهي قصيدة كتب صاحبها أنها: [مهدة إلى صدى النفوس المطولة، والقلوب المسلوقة، أرواح الشهداء في 8 ماي 1945] ووسمها محقق الكتاب وجامع مواده الدكتور جمال قنان بـ: (في ذكرى 8 ماي)* وهي من (65) بيتا، وقصيدة أخرى وسمها صاحبها بعنوان (عجبا لوجهك كيف عاد لحاله) ووسمها محقق الكتاب وجامع مواده الدكتور جمال قنان بـ: (في ذكرى فواجع 8 ماي)* وهي قصيدة في (51) بيتا، وهي القصيدة موضوع الدراسة.

ووفق منهج سيميائي يتخذ من سيمياء الاهواء ملاذا لمقاربة انفعالات الشاعر في القصيدة وكيف حاور التاريخ وما هي الذكرى، ستحاول هذه الدراسة الكشف عن شحنات انفعالية ساهمت في انتاج المعنى وسيروته. فما هي سيمياء الاهواء؟ وما هي آلياتها الإجرائية؟ ومن هو الشاعر الربيع بوشامة وكيف انفع مع التاريخ والذكرى؟

1- سيمياء الأهواء*؛ المفهوم الآليات الإجرائية:

أ- المفهوم:

تعد سيمياء الأهواء امتدادا للسيميايات العامة، وتعتمد على البعد المعرفي والمبادئ العامة لها، أما البناء النظري الخاص بالأهواء فيستمد مبادئه ومفاهيمه وتصنيفاته الأساسية من " السيميايات " الكلاسيكية -على حد تعبير فونتن-غير أن "الأساسي عند غريماس في دراسة الهوى ليس هو التعرف على العلاقات الدالة على الأهواء، بل الاهتمام بآثارها المعنوية

عالم مختار، دار القصة للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ص-ص 90-91 / خالد مرحوم: الشيخ الشهيد الربيع بوشامة - حياته وشعره، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 23، العدد 1، 2023، ص-ص 233-234

* جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص-ص 50-52

* جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة المرجع نفسه، ص-ص 58-60

* كتاب (سيميايات الأهواء) لكريماص وجاك فونتاني، كتاب نشر سنة 1991م، حيث ركز الباحثان على مجموعة من المفاهيم التحليلية، كالجسد، والانفعال، والكمية، والامتداد، والكثافة، والإيقاع، والقوة، والضغط، والتوتر، والإحساس، والطاقة الشعورية، وثنائية الصالح والطالح، والانفصال والاتصال، والعالم الداخلي والخارجي، والذات والموضوع، وحالات النفس وحالات الأشياء...

كما تتحقق في الخطاب. " فهي ترى في الهوى عنصرا فاعلا ضمن عناصر أخرى تنتج الفعل، والهوى عنصر أساسي في إنتاج الفعل " وإذا كانت سيميائية الفعل تهتم بالفعل في علاقته بالموضوع، فإن سيميائية الأهواء تهتم بالحالة النفسية أو الذات الانفعالية في علاقتها بالموضوع أو الأشياء غير أنها لا تهتم بالهواء في نفسه ولكن بآثاره في المعنى كونه ينتج معاني مشفرة و متمظهرة في النصوص.¹

ويعرفها الباحث سعيد بنكراد «الكشف عن المخزون الانفعالي المودع في النفس كشكل احتمالي لسلوك ممكن، دون الاكتراث لتصنيفاته الاجتماعية السلبية منها والايجابية»²، لذلك يجمع الباحثون في المجال السيميائي أن سيميائيات الأهواء «ظهرت لدراسة الذات والانفعالات الجسدية والحالات النفسية، ووصف آليات اشتغال المعنى داخل النصوص والخطابات الاستهوائية، بالتركيز على مكونين أساسيين: المكون التوتري (انعكاس العالم الطبيعي على الذات)، والمكون العاطفي أو الانفعالي أو الوجداني (منبع الأحاسيس والعواطف). ويتولد عبرهما ما يسمى بكينونة المعنى، وخلق ما يسمى كذلك بذات الإدراك والعاطفة. ومن ثم، فالخطاب السيميائي يدرس مجمل الانزياحات الموجودة بين العاطفي والتوتري، برصد علاقة الذات الاستهوائية بالعامل الموضوع انجذابا واتصالا ومقصدية. ويتم هذا التفاعل الاستهوائي الإدراكي عن طريق فضاء الحس والجسد.»³

ف«التعامل مع سيميائية الانفعال، والاهتمام بالمشاعر الجسدية والأهواء الذاتية، بعد أن كان التعامل سابقا مع سيميائية الأفعال والعمل والأشياء (...من جهة أخرى، دراسة تكييفات الذات الاستهوائية باستحضار منطوق الجهات: القدرة، والإرادة، والرغبة، والواجب»⁴.

«انكب كريماس ومعاونوه على دراسة هوى الذات داخل خطابات نصية بعيدا عن المقاربات الأخلاقية والفلسفية والنفسية، باحثين عن آثار المعنى داخل المقاطع النصية التي

¹ نزيهة زهواني: منسوب الحنين وثورة الأهواء قراءة في قصيدة "حب وحنين" ضمن سيمياء الأهواء للشاعر الربيع

بوشامة، ضمن كتاب جماعي؛ الأدباء الشهداء في الجزائر، جامعة حمة لخضر الوادي ط1، 2024، ص 306

² راوية شاوي: سيميائية الأهواء؛ المفهوم والآليات الإجرائية، حوليات جامعة قلمة، للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 16، العدد01، جوان 2022، ص 523

³ جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، الرباط، المغرب،

ط1، 2013 ص204

⁴ المرجع نفسه، ص 210

تتمظهر فيها صورة الهوى الذاتي. كما فعل كريماص حينما درس هوى الغضب، فتوصل إلى أن هذا الهوى يتكون من ثلاثة أجزاء مفصلية تكون البرنامج الحكائي الاستهوائي هي: الإحباط (الحرمان)، والاستياء(السخط)، والعدوانية¹

ب-الآليات المقاربة الإجرائية:

وعلى المستوى المنهجي فإنّ «مقاربة الأهواء هي لدراسة الذاتية والنوازع الجسدية والميولات الانفعالية مقاربة سيميوطيقية، تنصب على دراسة الهوى ضمن المستوى التركيبي والمستوى الدلالي، مع استبعاد الجانب اللغوي الذي يتمظهر على مستوى التجلي. ويعني هذا أننا لن ندرس الأهواء النفسية والانفعالات والمشاعر من الناحية الفلسفية أو الناحية الأخلاقية والنفسية تحليلا وتصنيفا، بل دراسة الأهواء داخل النصوص والخطابات، بالاستعانة بالمقاربة السيميائية سطحا وعمقا، باستقراء المكونات التركيبية والمكونات الدلالية. (...) يقول سعيد بنكراد: "إن ماهو أساسي في دراسة الهوى ليس التعرف على العلامات الدالة على الأهواء، بل الاهتمام بآثارها المعنوية كما تتحقق في الخطاب"² فكيف ستكون مقاربة قصيدة الشاعر الربيع بوشامة؟ وما هي النوازع والانفعالات التي جعلته يكتب هذه القصيدة؟

2-المقاربة التطبيقية:

إنّ الحديث عن سيمياء الأهواء حديث عن «ظاهرة الهوى كما يمكن أن تتجسد في صفات يتداولها الناس ويصنّفون بعضهم بعضا استنادا إلى إمكاناتها في الدلالة والتوقع الانفعالي، فالبلخ والغيرة والحقد والحسد والغضب والحزن وغيرها من الصفات كيانات تعيش ضمن ما تحدده (العتبات) التي يقيّمها المجتمع وقيس من خلالها (الفائض الكيفي) في الانفعال»³، لذلك سنبحث في هذه القصيدة عن انفعالية الإبداع والتركيب الشعري وطرق توظيفه في كتابة التاريخ واسترجاع الذكرى، فكيف صوّر أحداث 8 ماي ومجازرها؟ وما دلالة شهر ماي بالنسبة للشاعر؟ وكيف عبّر الشاعر عن أهوائه وانفعالاته في هذه القصيدة؟ كيف

¹ جميل حمداوي، المرجع نفسه، ص 210

² جميل حمداوي: المرجع نفسه، ص 220

³ غريماس (أ. ج) فونتي(ج): سيميائيات الأهواء؛ من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة وتقديم وتعليق: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 11

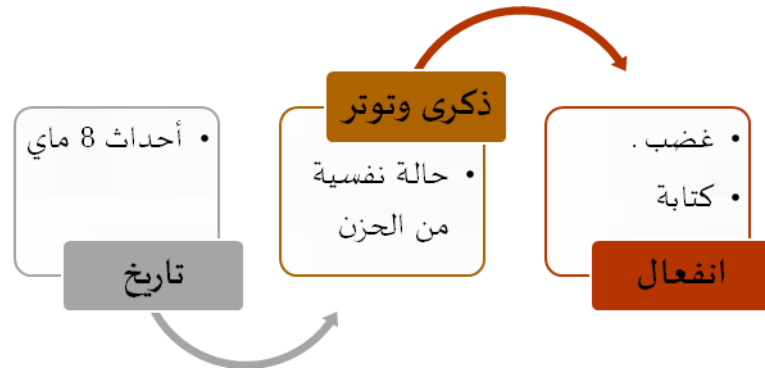
كتب التاريخ؟ وكيف خلد الذكرى؟ هل كانت الصيغ الدلالة تعبيراً عن التوقع الانفعالي المتعارف عليه أو أنه أعطاه بعداً آخر؟

1.2- التاريخ لأحداث 8 ماي 1945:

في هالة بنائية تعدت الخمسين بيتاً تؤسس للأحداث والتاريخ والفاجعة، يخاطب الشاعر الربيع بوشامة، شهر ماي بأسلوب تشخيصي، والتشخيص: «تميز الجماد والمجرد من الحياة في الصورة، بشكل كائن مميز بالشعور والحركة والحياة، وهذا النهج كثير الشيع في الشعر، ولا سيما في آثار الرومنسيين الذين كانوا يتخيلون الطبيعة كلها في جبالها، وحقولها وأشجارها، وصخورها، كائنات تشاركهم مشاعرهم (...) والتشخيص، اسباغ الحياة الإنسانية، على ما لا حياة له، كالأشياء الجامدة، والكائنات المادية غير الحية»¹، يقول الشاعر في مطلع القصيدة التي تم نشرها عام 1949:

قُبِحَتْ مِنْ شَهْرٍ مَدَى الْأَعْوَامِ **** يَا (مَائِي) كَمْ فَجَعَتْ مِنْ أَقْوَامِ
شَابَتْ لَهَوْلِكَ فِي الْجَزَائِرِ صِيبِيَّةٌ **** وَأَنْمَاعَ صَخْرٍ مَنْ أَذَاكَ الطَّامِي
وَتَفَطَّرَتْ أَكْبَادُ كُلِّ رَحِيمَةٍ **** فِي الْكُوْنِ، حَتَّى بَهْجَةِ الْأَيَّامِ²

في مطلع القصيدة راح الشاعر في بداية وقفته، يناصب شهر ماي العداً ويرسل اللعنات ويرميه بالقبح، لأنه أصبح شهر الفجائع والأهوال، ويرصد مجموعة من الأفعال تعكس حالة نفسية من التوتر الحاد التي تسببت فيها: ذكرى — توتر — انفعال، ويمكن التمثيل لها بالشكل الموالي:

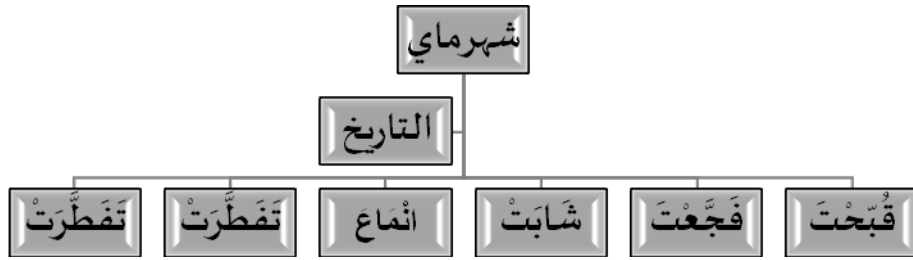


ويحيلنا الاشتغال في هذا الشكل من مفهوم الحالة والتحويل، من التاريخ كحالة ثابتة وقارة (تاريخ أحداث 8 ماي)، إلى التحول حالة توتر وحزن بسبب الذكرى، ليخلق بعدها حالة

¹ جبور عبد النور: المعجم اللغوي، دار العلم للملايين، بيروت، ج2، 1984، ص64

² جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ط2، 1994، ص58

تحول ثانية إلى انفعال تولدت معه هذه القصيدة التي تضح بالأفعال التي تعكس الحالة الشعورية للمبدع، والشكل الموالي لتمثيل للأفعال التي تم توظيفها في الأبيات السابقة:



ماي = تاريخ الكره العدا

وإذا أردنا قراءة الشكل السابق وفق (هرمان باريت H.Parret)، في كتابه (الأهواء: بحث حول تخطيب الذاتية)* فإننا نحدد ثلاثة أصناف من الأهواء: الأهواء العلائقية (المتقاطعة)، وتتمثل في: (المضايقة- الكرب- القلق-)، والأهواء الانتعاضية (المثيرة)، وتتجلى في: (الكرهية-- الاحتقار-)، والأهواء الحماسية (-الاضطراب-) وقد أمنت الأفعال الموظفة في الأبيات السابقة هذه الأصناف.

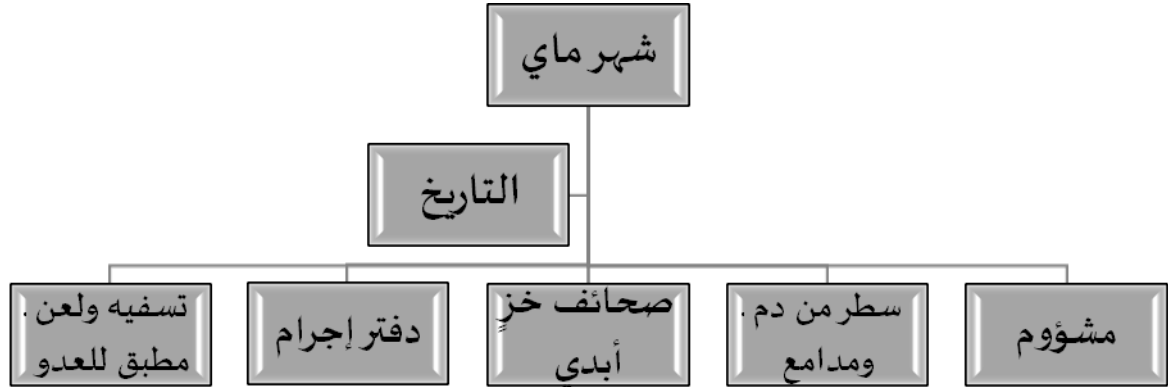
تباينت الأفعال بين أفعال المضارع والمخاطبة والأفعال الماضية والتي تعكس في مجملها انفعالا الحقد والكره والعداء الذي يكنه الشاعر لهذا الشهر بسبب أحداثه والأهوال التي أمت بالشعب الجزائري، ولا يقف الشاعر عند التاريخ الذي يعكس كرهه وعداءه، بل يتعداه إلى تاريخ كتب بدم الأبرياء يقول:

تاريخك المشؤوم سَطَّرَ من دَمٍ*** ومدامع في صفحة الآلام
وغدا صحائف خزية أبدية*** مضبوطة في دفتر الإجرام

* انطلق (هرمان باريت H.Parret) في دراسته للأهواء، من ثلاثة مستويات منهجية: المستوى المورفولوجي للأهواء (يعتمد باريت هنا على النص لا على الوحدات المعجمية)، والمستوى التركيبي، ومستوى التخطيب. وقد توصل (باريت) إلى أن هناك ثلاثة أصناف من الأهواء: الأهواء العلائقية (المتقاطعة)، وتتمثل في: (الفضول-المضايقة-الجلد-الصفاء الذهني-الجهل-الخشية-السذاجة-الوهم-الهروب-الكرب-التناقض-الضجر-القلق-النفور-التردد)، والأهواء الانتعاضية (المثيرة)، وتتجلى في: (الاهتمام-الثقة-الكرهية-الحذر-الصدقة-الحب-اللامبالاة-الاحتقار-المودة-التقدير-الاستخفاف-الازدراء)، والأهواء الحماسية (الحماس-الافتتان-الإعجاب-الاضطراب-الاعتراف-الخبية-الاحترام-الأمل).

تُتلى بتسفيهٍ ولعنٍ مُطَبَّقٍ***لن ينتهي أبداً على الظلّام¹

يحدد الشاعر تاريخ شهر ماي ويبدأ الأبيات مخاطباً بلفظ (تاريخك) ليعدد كيف كان التاريخ الأليم، والمخطط الموالي تمثيل للحالات المأساوية التي تم توظيفها في الأبيات السابقة:



ماي = تاريخ دموي مأساوي

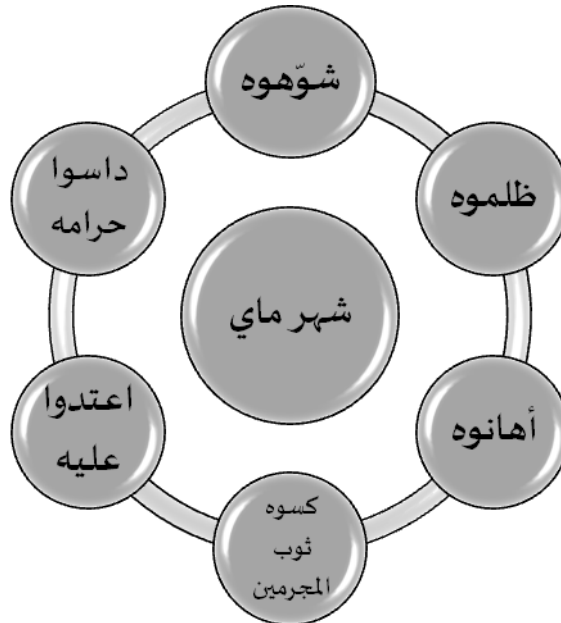
فشهر ماي صار موضع اتهام من هول ما حدث فيه من مجازر وسفك لدماء الأبرياء، لذلك يذّكر الشاعر الجزائريين بشهر الدم وبما فيه من الفجائع والمآسي، كلما استجدت الذكرى، والشاعر يكثر من وصف الدماء والدموع، ذلك لأنه كان من الشعراء الذين اعتقلوا بعد أحداث الثامن ماي، ولم يُطلق سراحه إلا في فيفري عام 1946، لذلك خلّف هذا الشهر أثراً بالغاً في انفعالات الشاعر تنضاف إلى حالة كرهه له.

وعلى الرغم من كل هذا الكره والعداء، والألم الذي يعصر قلبه، يتأسف الشاعر على شهر ماي الذي تحول بسبب جرائم جنود الاستعمار من شهر ربيعي هادئ إلى شهر للتشاؤم والظلم يقول:

¹ جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 58

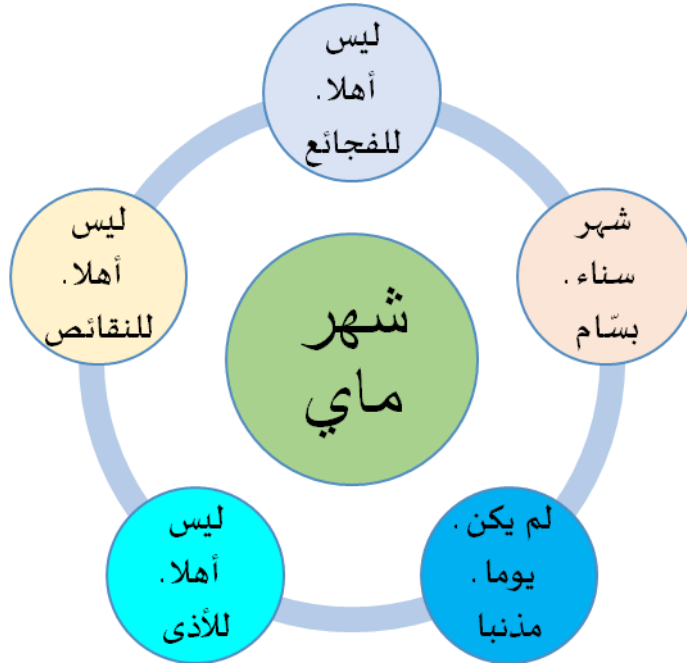
يَا (مَائِي) قَدْ ظَلَمُوكَ حَقًّا مِثْلَمَا *** ظَلَمُوا الضِّعَافَ وَشَوَّهُوكَ بِدَامِ
 دَاسُوا حِرَامَكَ وَاعْتَدُوا بِنَدَالَةٍ *** فِي حِرْزِهِ، وَجَنُوا أَحْسَنَ أَثَامِ
 وَكَسُوكَ ثُوبَ الْمُجْرِمِينَ إِهَانَةً *** مَقْصُودَةً لِسَنَائِكَ الْبَسَامِ
 مَا كُنْتَ أَهْلًا لِلْفَجَائِعِ وَالرُّؤَى *** لَوْلَا يَدٌ مِنْ نَاقِمِ غَشَامِ
 مَا كُنْتَ أَهْلًا لِلنَّقَائِصِ وَالْأَذَى *** لَوْلَا هَوَى فِي دَوْلَةِ الْأَقْوَامِ
 وَرَمُوكَ مِنْ بَيْنِ الشُّهُورِ بِوَصْمَةٍ *** شَوْهَاءَ تَبْقَى سَبَّةَ الْأَعْوَامِ
 فَمَثَلْتَ مَكْرُوهًا وَلَسْتَ بِمُذْنِبٍ *** وَرَمُوكَ مَبْتُورًا بِسَهْمِ حَامٍ¹

تتضارب المشاعر والانفعالات عند الشاعر، فلا ينفك يظهر آثار المدرسة الرومنسية التي تحتفي بانفعالات الشعر الذي يحاور الطبيعة كلها لتشاركهم مشاعرهم، فشهر ماي عنده شهر سناء بسام، ما كان يوما شهرا للفجائع ولا شهرا للنقائص والأذى، بل اتهم وظلم كما ظلم الأبرياء، وشوه بوصمة الدم والدمع كما وصم الأبرياء بوصمة التمرد، وغدا مكروها بسبب ذنب لم يكن له يد فيه، وكأن الشاعر يتأسف ويتحسر لما آل إليه شهر السناء والجهاء، ويمكن التمثيل للأبيات السابقة بحالتين متباينتين لشهر ماي:



¹ جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 69

فكل ما نسب لشهر ماي من اتهامات، هي افتراءات باطلة سببها مستعمر غاشم، ذكره الشاعر بالإشارة اللغوية (يَدُّ مِنْ نَاقِمِ غَشَّامِ) الذي أباح الأرض وشوه الشهر وسفك دماء الأبرياء وأحرق أكباد الأمهات واحرق جثث الشرفاء، لكن حقيقة شهر ماي في الشكل الموالي:



فشهر ماي شهر الهباء والسناء لم يكن يوما أهلا للفضائح والمآسي والكره والعداء، لم يذنب بحق الأبرياء بل المذنب الحقيقي هو دخيل او كما سماه الشاعر (الغريب).

2.2- ذكرى أحداث 8 ماي:

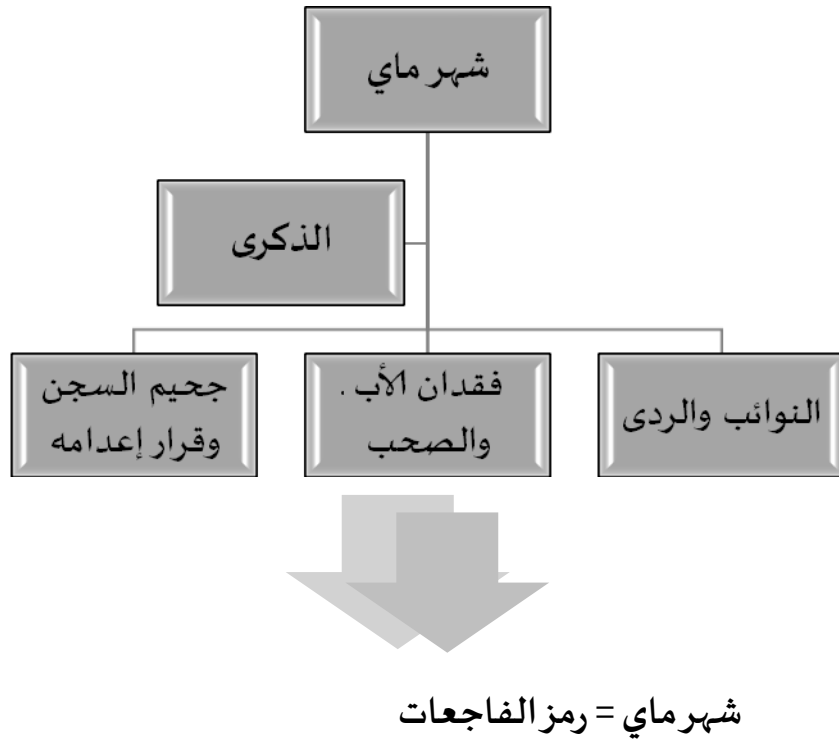
قبل أحداث 8 ماي 1945، غادر الشاعر خرّاطة رفقة أحد أبناء سي محمد أعراب، إلى قرية آيت مرعي، المطلة على المدينة والقريبة من جبل بابور، وعاد لما سمع بترتيب المظاهرات ليشارك إخوانه، وحدثت المجازر التي أسالت الكثير من الدماء والحبر، وبعد مجازر 8 ماي عاد إلى خرّاطة، أين تم اعتقاله وزج به في السجن في شهر جوان، ولم يخرج من السجن حتى شهر فبراير 1946، وكانت كل هذه الأحداث متتالية سببا في تأريخه للأحداث وكتابته للفضائح الدامية، التي كانت ولا تزال، جرحا غائرا في تاريخ الجزائر، جعلت الشاعر يخلدها في أكثر من قصيدة [في ذكرى 8 ماي، في ذكرى فواجع 8 ماي] يقول الشاعر في قصيدة (في ذكرى فواجع 8 ماي) يقول:

لِي فِيكَ يَا (مَآي) النَّوَائِبَ وَالرَّدَى *** ذِكْرِي سَتَبْقَى طِيلَةَ الْأَعْوَامِ
فُقْدَانُ خَيْرِ آبٍ، وَأَكْرَمِ صُحْبَةٍ *** وَجَحِيمِ سَجْنٍ، حُفَّ بِالْإِعْدَامِ
فِي ذِمَّةِ التَّارِيخِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ *** قَضَيْتُهَا فِي غَزْوَةٍ وَصِدَامٍ¹

ويمثل شهر (ماي) رمزا للفاجعة، وعنوانا للمرارة، عند الشاعر، وقد سخر قلمه متحدثا عنه، يقول:

أَصْبَحْتَ رَمَزَ الْفَاجِعَاتِ بِذَا الْحَيِّ *** تَبْدُو بِهِمَا، مُفْزِعَ الْأَظْلَامِ²

والشكل الموالي تمثيل لانفعال الدفقة الشعورية في هذا البيت الذي يحمل ذكرى أليمة:



من خلال الأبيات السابقة وبعدها المخطط الموالي، يمكننا أن نحدد طبيعة الانفعال التي تحيلنا إلى الحزن وقد عبر عنها بعلامات أو إشارات لغوية من ذات السياق أو المعنى،

¹ جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 59

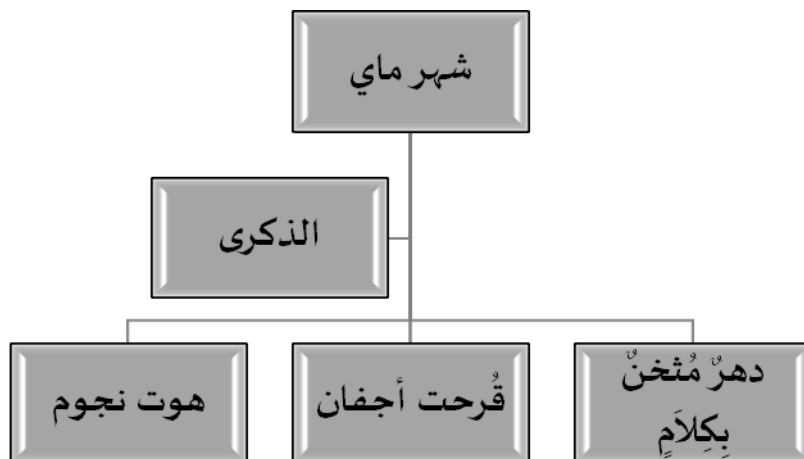
² المصدر نفسه، الصفحة نفسها

فشهر ماي الذي خلص فيه الشاعر أنه رمز الفاجعات هو أيضا شهر الحزن، والشكل الموالي يوضع تعددت الإشارة اللغوية والانفعال:



يرى جميل حمداوي أن «الهوى» في السيميائيات هوى مركبي دلالي لا يلتفت إلا للممكّنات الكامنة التي يمكن أن تتجسد من خلال وجوده الأدنى كما يتحقق في القواميس¹، لذلك فالتوتر الحاصل في مسار الشاعر والصدمة التي استدعت هذا الكم من الحزن حاصرت المعجم اللغوي في صيغ بعينها لم يستطع الشاعر الانفلات من سطوتها وقوة وقعها، ولا ينفك الشاعر يخاطب شهر ماي بأوجع ما يمكن أن يخاطب شخصا شخصا آخر، فحجم الفاجعة أكبر من أن تستوعبها الكلمات، يقول:

إن كان في التاريخ، عامٌ محزنٌ*** (فماي) دهرٌ مُتخَنٌ بكلامٍ
قُرحتُ به أجفانُ كلِّ كريمةٍ*** وهوتُ نجومٌ في محيطِ ظلامٍ²



¹ جميل حمداوي: المرجع نفسه، ص 221

² جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 59

شهر ماي يعادل عامًا من الحزن

ويشحن الشاعر كل ألفاظ الحزن في دفقة مستمرة وغير منتهية فيوظف لفظ التاريخ كمسار ممتد ليدل به على العلة الكامنة في قلبه من أحزان، ويستدعي لانفعال الحزن (عام محزن، دهر مئخن بكلام أي بالجراح) ولا يكتفي بذلك بل يسوق الحالة العاطفية التي تعكس حزنا شاملا بتوظيفه للفعل قُرحت على وزن فُعِلت دلالة على الكثرة، ولم يكتف بذلك بل زاد عليه توظيف (كلُّ) «التي تدلّ على الشُّمول والاستغراق والتَّمام لأفراد ما تضاف إليه أو أجزائه (...تستعمل وصفًا مؤكِّدًا مفيدًا للكمال»¹، أي لم تبق كريمة في الجزائر إلا وقُرحت أجفانها حزنا على من فقدت.

وتأبى نخوة الشاعر إلا أن تذيب تلك المرارة في شعور التَّحدّي وقهر الإِسْتِكانة، فتتغير الشحنة العاطفية من الحزن إلى الرغبة في الانتقام فيحزّز العزائم، ويشحن الهمم، وترتفع عقيرته صداحة يخاطب الشهر ويطلب منه الانتقام يقول:

يَا (مَاي) مَالِكٌ وَاجِمًا لَمْ تَنْتَقِمِ *** أَوْ مَا سَقَاكَ الظُّلْمُ أَسْوَأَ جَامٍ؟!²

وهذا البيت بالذات إسقاط وترجمة للرغبة الكامنة والنبض الثائر الذي ينتظر انفجار الغضب في صدر الشاعر بالانتقام لكل فقيد ذهب غدرا وهو يحمل راية النصر يطالب بحق الاستقلال، وما بعده ذكرى وتذكير "كي لا ننسى" بشاعة المشاهد والظلم الذي لحق الشعب الجزائري، يقول الشاعر:

هَذَا جِرَامُكَ بِالدِّمَاءِ مُشَوِّهٌ *** قَدْ عَجَّ بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ³
فَارْفَعْ إِلَى مَوْلَاكَ شَكْوَى ضَارِعٍ *** يَبْرَأُ مِنَ الْحُكَّامِ وَالْأَحْكَامِ
يَا (مَاي) إِنَّا فِي انْتِظَارِ حُكُومَةٍ *** فَمَتَى يُسَاقُ الظُّلْمُ لِلْإِعْدَامِ؟!⁴

¹ المعجم الإلكتروني للمعاني <https://www.almaany.com>

² جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 59

³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

⁴ المصدر نفسه، ص 70

وكانت للشاعر الشهيد الربيع بوشامة، المشاركة الفعالة في أحداث 8 ماي 1945 بمدينة خراطة، هذه المشاركة التي زج بسببها في السجن ومكث به مدة تسعة أشهر، ذاق خلالها العذاب الشديد، وعند حلول الذكرى الرابعة وقف والألم يعصر قلبه ليتأسف على منظر ماي الذي تحول بجرائم جنود الاستعمار من شهر ربيعي هادئ إلى شهر للتشاؤم والظلم

وَكَسُوكَ نُوْبَ الْمُجْرِمِينَ إِهَانَةً *** مَقْصُودَةً لِسَنَائِكَ الْبَسَامِ
مَا كُنْتَ أَهْلًا لِلْفَجَائِعِ وَالْأَذَى *** لَوْلَا هَوَى فِي دَوْلَةِ الْأَقْوَامِ

إلى أن يقول:

وَرَمُوكَ مِنْ بَيْنِ الشُّهُورِ بِوَصْمَةٍ *** شَوْهَاءَ، تَبْقَى سَبَبَةَ الْأَعْوَامِ¹

ثم يثور لدعوة ماي ومن خلاله شعبه الأسير لفك القيد والثورة على الأعداء يقول:

وَاسْأَلْ يَدَ الْجَبَّارِ عَاجِلَ نِقْمَةٍ *** لِلظَّالِمِ الْمُسْتَهْتِرِ الْهَدَامِ
عَجَّلْ لِهَذَا (الغَرْبِ) مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ *** بِقَوَاصِمٍ مُجْتَا حَةٍ وَغَرَامِ²

الخاتمة:

-تتضارب الأهواء والانفعالات عند الشاعر في هذه القصيدة بين إدانة شهر ماي واتهامه وتبرئته، وبين الاستنكار والاستياء والمؤازرة والمساندة.
-خلق مفهوم الحالة (التاريخ) تحولا ضمن مسار الكتابة فصار التاريخ رمزا للكره والعداء هيج انفعالات الشاعر ضمن بناء تركيبى تشخيصي فضح كل معاني الكره.
-شهر ماي بالنسبة للشاعر تاريخ للعداء والكره، كما يعد تاريخا دمويا مأساويا أما الذكرى فقد تعددت بتعدد الأحداث.

-على قدر كره الشاعر لهذا الشهر وما حمله من أعباء إلا انه يتدارك حقيقة ان الشهر لا يعدو ان يكون شهرا ومن حق له الكره هو المستعمر الغاشم الذي اراق دماء الأبرياء بكل برود.

-أما الذكرى؛ ذكرى احداث 8 ماي فهي رمزا للفواجع، وعاما للحزن، بكل ما في الحزن والفواجع من الم وألفاظ موحية في القصيدة.

¹ المصدر نفسه، ص 69

² جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 70

وعلى الرغم من أن الأبيات سيقت في ذكرى فواجع الثامن من ماي، إلا أن الشاعر وظف الأفعال في الزمن الحاضر بكثرة، دلالة على الخطاب المباشر، أو التوجه المباشر باللوم والعتاب وترجمة الشاعر. والحقيقة أن بعضا من الأوراق لن تف الشعر وانفعالاته حقهما في الدراسة، لذلك نرجو ان تكون هذه الدراسة فاتحة لأعمال أوسع.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ط2، 1994
- 2- جبور عبد النور: المعجم اللغوي، دار العلم للملايين، بيروت، ج2، 1984.
- 3- عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، ترجمة، عالم مختار، دار القصبه للنشر، الجزائر، ط1، 2007.
- 4- جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية) التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، الرباط، المغرب، ط1، 2013
- 5- خالد مرحوم: الشيخ الشهيد الربيع بوشامة -حياته وشعره، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 23، العدد 1، 2023،

- 6- نزيهة زهواني: منسوب الحنين وثورة الاهواء قراءة في قصيدة "حب وحنين" ضمن سيميائى الاهواء للشاعر الربيع بوشامة، ضمن كتاب جماعى؛ الأءباء الشهداء فى الجزائر، جامعة حمة لخضر الوادى ط1، 2024، ص 306
- 7- رابوة شاوى: سىمىائىة الاهواء؛ المفهوم والآلىاء الإءرائىة، حولىاء جامعة قامة، للعلوم الاءتماعىة والإنسانىة، المءلء 16، العءءء01، ءوان 2022، ص
- 8- ءرىماس (أ. ء) فونءنى(ء): سىمىائىاء الأهواء؛ من ءالاء الأشياء إلى ءالاء النفس، ءرءمة وءقءىم وءعلىق: سعىء بنءراء، ءار الكءاب الءءىء المءءءة، بىروء، لبنان، ط1، 2010
- 9- المءءم الإلكءرونى للمعانى <https://www.almaany.com>